أما المناطق الثلاث ، فهي جنوب النيل الأزرق وابياي وجبال النوبة وهي من مكونات السودان القديم، بعضها كان معروفا منذ ما قبل الميلاد وبعضها تم التواصل معها في حقبة السودان الوسيط، على الأخص حقبة الفونج (1500 1820) ، حيث عرفت منطقة جنوب النيل الازرق بفازوغلي وكانت التقسيمات الإدارية في أجنحة الدولة مملكة الحلنقة والبني عامر ومشيخة الحمدة ومشيخة خشم البحر بالإضافة إلى مشيخات وممالك شمال السودان ، وفي عهد الوالي محمد على وأحفاده نظر لهذه المناطق كمصدر لمن يصلحون للجندية والخدمة العسكرية على الأخص جبال النوبة والذهب في فازوغلي وبعد ضم دارفور في عام 1974 ، اطلق على سلطنة الفونج وأجنحتها ودارفور السودان المصري وملحقاته الإدارية .

ويمكن القول، بأن المجموعات السكانية الأصلية ، مع النوبيين في شمال السودان والعرب ودارفور هم أصل نواة السودان الحديث ، والذي نهضت فيه الممالك النيلية ، بمدنها وتماثيلها وطرق عيشها ولغاتها المكتوبة ، ابتداء من كرمة والدفوف، وكوش ونبتة ، ومروي ولغتها ، ثم المريس والمقرة وعلوة وانتهاء بسلطنة الفونج ، التي حافظت على لا مركزية البناء الاجتماعي والسياسي للمشيخات والممالك الممتدة من سواكن شرقا إلى وادي حلفا شمالا وفازوغلي وجبال النوبة جنوبا ، ومن التقسيمات الإدارية في عهد الصفوة التركية المتمصرة الخرطوم وكردفان والتاكة وسنار وفازوغلي ودنقلة (1) ..

بعد القضاءا على المهدية ،أعاد الحكم الثنائي ، تشكيل الخريطة اسكانية والجغرافية ، حيث تنازل في عام 1902 عن إقليم بني شنقول ، الذي كان يمثل الإمتداد الشرقي لفازوغلي وأصبح هناك كرمك سوداين وآخر إثيوبي ، يمثلان مفتاحا لكل القرن الإفريقي ، فمن خلال الكرمك حديثا ، عبرت قوات دفاع السودان مناصرة للإمبراطور هيلاسلاسي واعادته لعرشه في عام 1991م ، كما عبرت الكنيسة الأمريكية المشيخية في ظروف الاحتلال الإيطالي واستقرت وسط الأدك في مناطق في محيط ما بعد الكرمك.

وعلى صغر حجم مدينة الكرمك ،المحاصرة بين النهر والجبل الممتد من السلسلة الإثيوبية ، إلا أن أهميتها تكمن كذلك أن حدود جنوب السودان على بعد 25 ميلا وازدادت أهمية المدينة

---

(1) محمد الأمين سعيد، سياسة محمد على في السودان ، 2016م ، د. ن ، راجع النظام الإداري ، ص 79

حديثا بعد قيام مشروع سد النهضة (50 ميلا) وأصبحت المدينة ذات طابع استراتيجي للدول الاربعة (السودان وإثيوبيا وجنوب السودان ومصر).

وسالت في الكرمك دماء كثيرة مع تدافع الجيوش الأجنبية والمحلية منذ أيام الفونج مرورا بالتركية والمهدية والإنجليز وأخيرا جيوش إثيوبيا وإريتريا والحركة الشعبية فيما بعد محاولة اغتيال حسني مبارك ، في محاولة لاقتلاع نظام الإنقاذ في عامي 97/98 – كما اصبحت تحت نظر النظام الدولي بمخابراته ومستشاريه وكالات اغاثته وتنظيماته بحجة الوصول للنازحين واللاجئين.

ويتوطن في المنطقة قبائل مشتركة لها امتدادات في إثيوبيا وجنوب السودان كالأدك ، والماباي والجمجوم والوطاويط والليري والهمج والأنقسنا بالإضافة الجلابة من عرب وشايقية وأشراف ومساليت وفور وفلاته حيث أصبحت المنطقة الممتدة حتى الدمازين منطقة صهر قومي وعرقي للسكان الذين تجاوز عددهم المليون ونيف المليون([1])

ومع حيوية المنطقة ، وأهميتها الإستراتجية والامنية ، فشلت النظم السودانية المتعاقبة ، في مد جسور التواصل مع المنطقة وتقديم خدمات التعليم والصحة والطرق وفرص العمل وأصبح الجزء الآخر في إثيوبيا افضل من الجزء السوداني ، حيث ينعم بالطرق والخدمات والتوظيف خصوصا بعد قيام سد النهضة ، واصبحت القبائل المشتركة تجد نفسها في وضع أفضل في الضفة الأخرى وتهجر الضفة السودانية بتقشفها وعدم تواصلها .

جبال النوبة وشعب النوبة :

مرتفعات النوبة في جنوب كردفان ، تمتد في مساحة تقارب 83.000 كلم2 – 64 كلم × 145 كلم وتتكون من 5 سلاسل جبلية وتقطن هذهالمنطقة مجموعات سكانية كالكواليب التي تنقسم إلى عشر مجموعات صغيرة ، ومجموعة النمانيج كذلك قرابة التسع تقسيمات ومجموعة تلودي ومجموعة تقلي ومجموعة الداجو وعلى سهول الجبال تمتد قبائل الحوازمة والبقارة والفلاتة وغيرها من المجموعات السودانية ومن مدنه الأساسية كادوقلي والدلنج وتلودي ولقاوة الخ ويتميز شعب النوبة بقوة البنية والميل للعسكرية والمصارعة كما أنه شعب محب للموسيقى والإيقاع، وعلى خلاف جنوب النيل الأزرق ، فإن النوبة ظلوا على تواصل مع كل المجموعات التي حكمت السودان .

---

[1] ومن الكتابات الحديثة برز كتاب John Young, The Fate of Sudan, zed Books , 2013
وكذلك Alex De Wall , The Real Politics of the Horn of Africa . Polity 2017 وكذلك
Somuel Tollen and Amanda F,Grzgb. Conflict Nuba Mountiain Routledge 2013

فطن الرحالة الإنجليز كصمويل بيكر لقوة النوبة وقدرتهم على العمل الشاق ، فكانوا أساس للحملات الإستكشافية لمنابع النيل الأبيض، كما قامت وسطهم ممالك إسلامية كمملكة تقلي الإسلامية ، التي مثلت في فترة تاريخية حاضنة للثورة المهدية ، في إطار علاقة المهدي مع السلطان آدم ديالو ، ومن قبل لك كان النوبة أساسا لحملة المكسيك ، حينما طلب إمبراطور فرنسا من الخديوي اسماعيل مده بمكتبة عسكرية لإخماد الثورة الوطنية هناك ، كما كان النوبة في قوة دفاع السودان أساس ثورة 1924م بقيادة عبدالفضيل الماظ.

وتجرى السياسة في عروق النوبة مثلها مثل المصارعة ودخلت نخب النوبة في مختلف التنظيمات السياسية والعسكرية الحديث في السودانيين ، حيث تأثروا بحركات البعثيين والمد القومي كما تمثل في المقدم محمود حسيب والحراك الزنجي القومي، وكذلك في فيليب عباس غبوش وسعي المقدم محمود حسيب في المشاركة في انقلاب ضد نظام الفريق ابراهيم عبود، ثم عينه الرئيس جعفر نميري وزيرا للمواصلات ثم محافظا لجنوب كردفان ، حيث أصبح من القيادات السياسية المعروفة وأسس اتحاد عام جبال النوبة واغتيل في عام 1984م في ظروف غامضة ، وبرز في منافسة محمود حسيب الأب فيليب عباس غبوش والذي ولد في حي بانت بامدرمان في يناير 1922م حيث كان والده يعمل عسكريا وشارك والده في ثورة 24 وعاد مع والده إلى الجبل ، وهناك تم تنصيره في المدارس الكنسية ثم كلية اللاهوت في جوبا حتى أصبح راعيا للكنيسة الأسقفية (الإنجلكانية – الإنجليزية) وترأس تنظيما موازيا لتنظيم حسيب ، باسم اتحاد جبال النوبة ، دخل البرلمان مع ثمانية نواب عام 1966م ، وبرز في البرلمان ويذكر له سؤاله للدكتور حسن الترابي ، هل يمكن أن يصبح غير المسلم رئيساللسودان ، فكان أن وقع د. الترابي في الفخ ، حينما أجابه بلا .– توفي غبوش في لندن عام 2008م مثله مثل يوسف كوه مكي الذي تقلد زعامة النوبة المعارضةللحكم بعده ، وولد يوسف عام 1945م ودرس في مدني والخرطوم كلية الاقتصاد وأسس اتحاد شباب النوبة كمولو 1985م – وتوفي لندن 2008م[1] ..

إنتبه يوسف كوه لبروز حركة التمرد منذ عام 1984م ، وظل كما يبدو في تواصل معها، ولكن فقد صبره ، حينما دخل في صراع مع حاكم كردفان حينها ، فذهب وانضم للحركة الشعبية ، وأسس طلائع حركة التمرد في جبال النوبة ، ونجح يوسف كوة في تجميع معظم القوى السياسية في جبال النوبة ، حول الحركة الشعبية ، كما أصبحت إذاعة الحركة الشعبية المرسلة من اديس أبابا والمسنودة داخليا بالحزب الشيوعي السوداني واليسار عموما، أداة

---

[1]() راجع المواقع التي باسمائهم في الشبكة الإسفيرية

تعبئة وتجميع للقوى المهمشة التي لا مصلحة لها في حكم نميري ومابعده وحكم الحركة الإسلامية ، واصبح لحركة التمرد موقع محصن واستراتيجي في قلب الجبال يسمى كاودا ، وتم عقد مؤتمر لأحزاب النوبة الاساسية في عام 2002 ، حيث انصهرت هذه الأحزاب في الحركة الشعبية وفوضت قرنق لقيادتها ولمتابعة ملف جبال النوبة ، وجاء ذلك متوجا للحملة الغربية / الامريكية الواسعة التي قادتها البارونة كوكس عن الإبادة في جبال النوبة ، كما أصبحت كاودا مزارا للإعلام العالمي والنجوم حال جورج كلونيGeorge Clooney ونيكولاس كريستوف Nicnolas Kristof وتفادي الغرب الإشارة إلى انتهاكات الحركة الشعبية لقيادات النوبة ، حيث لم يتوان زعيم التمرد قرنق عن قتل 25 من قادة جبال النوبة ، لأنهم رفضوا مبدأ طرد القبائل العربية من الجبال وتوطين الدينكا([1]).

نجحت جماعات الضغط في الكونجرس والكنيسة والسود واليهود في شد الرئيس بوش في التدخل في المسألة السودانية وعلى الأخص حروب الجنوب وجبال النوبة والنيل الأزرق . وتم تعيين مبعوث أمريكي للسودان وهو Jack Danforth جاك دان فورث في وقت عقد فيه بوش عدة جولات حوار مع جون قرنق ([2]) . ونجح دان فورق في 19 يناير 2002 بجمع قيادات النوبة والحكومة السودانية في توقيع إتفاقية سويسرا لجبال النوبة – التي دولت القضية وأصبح المنطقة عمليا تحت ما يشبه الإدارة الدولية ([3])

ومنذ ذلك الحين خفتت الأضواء عن الجبال وبرزت مشكلة دارفور من ناحية ، كما انشغلت من ورائها الحكومة في محادثات السلام مع جون قرنق عن طريق الغيقاد من ورائها والتوريكا Trika حتى أدي ذلك إلى توتر داخلي ، باعتبار أن النوبة هم القوة الضاربة في الحركة الشعبية وبدمائهم وجهودهم وصلت الحركة الشعبية إلى ما وصلت إليه وكلما فازت به الجبال مصطلح الشوري الشعبية الذي تم استعارته من مفاوضات تيمور الشرقية انتهي إلى إنفصال ،. حيث تم الإتفاق في بروتكول مشاكوس ، على إجراءات إدارية لوحدة ذاتية ، وتتم المشورة الشعبية بواسطة مجالس النيابة ومفوضية أراضي الجبال .

---

[1] سراج الدين عبدالغفار ، الصراع في جبال النوبة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، 1997م ، ص 270- 275 وكذلك Young: The Fate of Sudan p. 229

[2] Filda: Waging Peace

[3] راجع اتفاقية وقف إطلاق النار في جبال النوبة ، مجلة دراسات إفريقية العدد (50) – ص 301

جاءت إتفاقية جبال النوبة ، مدولة بعد فشل إتفاقيات السلام من الداخل ، مع ريك مشار ومع حركات النوبة المنشقة ، وفي إطار التنظيم الإداري الجديد للجبال ، أعطيت أولا لإسماعيل خميس جلاب splm ثم عمر سليمان ونائبه سليمان كودي ثم في مايو 2009 احمد هارون ، ولم يتم إنشاء مفوضية للأراضي ، وحينما حلت الإنتخابات في ابريل 2010 تم تأجيلها إلى مايو 2011م فاز احمد هارون 201.455 – وعبدالعزيز الحلو 194.955 وفي المجلس التشريعي ، نال المؤتمر الوطني 33 مقعدا والحركة الشعبية 22 مقعدا – ومع إن عبدالعزيز الحلو أصبح لفترة نائبا للوالي إلا أن ذلك لم يحل عقدة عدم الثقة ، كما أن الحكومة لم يك لديها إستراتيجية لإستيعاب القادمين كشركاء وليسدوا تابعين ، خصوصا أن كافة القوى السياسية بما فيهم النوبة ، نظرت لإتفاقية السلام كصفقة فاز فيها الجنوب ، وعزلت كافة القوى السياسية المدنية والسياسية – مما أدى إلى تكوين الحركة الشعبية لتحرير السودان – قطاع الشمال، فيما بعد اغتيال جون قرنق في 30 يوليو 2005م. وحينما أصبح سلفاكير قائدا للحركة لم يك في وسعه الإستغناء عن النوبة ، لأنهم عماد جيشه ولأنهم القوة الظهيرة والموازية لقوة النوير المشكوك في ولائهم ولذلك اهتم بتعزيز وضع النوبة وتغذيتهم بالسلاح وتمتين قاعدتهم في كاودا التي يقال يوجد فيها عشرة آلاف مقاتل مسلح.

واليوم فإن كاودا ليس مجرد مدينة ولكنها إقليم يفتح على الجنوب بجيش وعلمه وسلامه الوطني ومدارسه. وتواصله الداخلي والخارجي. وأثبتت الظروف والحروب أنّه. لا حل. إلا بالتفاهم والتواصل السياسي وهذا هو تحدي منطقة الجبال .

أبياي المدينة وأبياي المنطقة:

تستمد منطقة أبياي أهميتها ،لمرور نهر العرب بها ، حيث كانت قبائل البقارة (المسيرية) تعبرها طلبا للمرحي وتقيم بها في شهور الجفاف وحسب الروايات المحلية ، فإن دينكا نجوك جاءوا للمنطقة بعد عام 1902م ، حينما تم إبعادهم نتيجة لحروب قبلية وتم توطينهم في مديرية كردفان لذا ظلت منطقة أبياي التي تبلغ مساحتها حوالي 16 ألف كلم مربع منطقة نزاع بين قبائل البقارة والدينكا وفي إتفاقية السلام 1972م – نصت الإتفاقية على إعطاء أهل أبياي حق الإستفتاء لتقرير مصيرهم جنوبا أو شمالا ولكن لم يتم هذا الإستفتاء نتيجة للخلافات عن حق الإقتراع ، ثم ازدادت أهمية المنطقة ، كمنطقة استراتيجية تطل على جبال النوبة وجنوب السودان وكردفان وتنتج البترول .

وفي إتفاقية السلام الشامل ، نصت الإتفاقية على تعريف الجنوب بأنّ حدود الجنوب هي حدود ما قبل عام 1956 – وبذلك خرجت أبياي وجبال النوبة وجنوب النيل الأزرق من جنوب السودان ، ولكن أعطى البرتكول السادس أبياي وضعا خاصا ، حيث حافظ على

الإستفتاء لتقرير المصير، كما كون لجنة خبراء لتحديد حدود أبياي. ولكن تم الإختلاف على ذلك ، خصوصا أن المنطقة تضم معظم حقول البترول المنتجة شمالا ، فنقلت القضية إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي ([1]) والتى أعطت السودان معظم منطقة أبياي شمال بحر الغرب " حوالي 12 ألف كلم مربع" بما فيها مناطق البترول ، بينماأعطت قبائل البقارة فقط حق المواطنة الثانوية ، أي ليس لهم الحق في الإستفتاء لتقرير مصير بقية المنطقة وقد اعترض القاضي الثالث " اردني " كتابة على ذلك بأنه ليس هناك مواطنة منقوصة ومواطنة كاملة للمشتركين في العيش المشترك في منطقة واحدة .

وكشفت قضية المناطق الثلاث وعلى الأخص ابياي عن إتفاقية السلام الشامل ، وأنها مجرد إتفاقية للتدويل ووقف إطلاق النار ولا تؤدي إلى سلام ، ومبطنة بنذر الإستخدام لتغيير سياسي واجتماعي في السودان ، ومعظم كتابات الغربيين تفترض أن السودان تحكمه أقلية نيلية – هل يا ترى هي أقلية ؟ حيث يتم الخلط بين سكان ولايتي النيل والشمالية ، ويتم تجاهل أن حركة الحياة والتجارة والتعليم والبعد العربي. الإسلامي. هي. أساس السودان الحديث. .وأن سكانه. لا يقلون عن ثلثي سكان السودان ، ولم ينقطع السودان يوما عن مؤثرات البعد الشرقي/ أوسطي (فرعوني ، يهودي ، مسيحي) والكلام عن العبد الإفريقي الزنجي – لايعدو إلا أن يكون تغليفا للتمدن الغربي في كينيا ويوغندا وما وراءهما – لأن روح الأإفريقانية المعاصرة هي الثقافة الغربية " اللغة الإنجليزية أو الفرنسية والتمدن الغربي والكنيسة " ومن الغريب أن سكان غرب إفريقيا اصل الزنوجة ، يتوقون للبعد الشرق أوسطي والعروبة والإسلام ، وهم الغالبية بينما فقط نخب منطقة وسط إفريقيا ترى تعارضا بين مشروعها والبعد الشرق أوسطي ، بدأ مسار إتفاقية السلام الشامل بتوقيع بروتكول مشاكوس الذي وقعه عن حكومة السودان د. غازي عتباني ، وعن الحركة الشعبية القائد سلفاكير بحضور الرئيس أرب موي في يوليو 2002م ثم تلتها عدة برتكولات ربما وقعت بنية غير سليمة – لكسب المجتمع الدولي واللحظة السياسية وفيها ما فيها من التكتيك وهذا ما أدي إلى حروب أبياي والكرمك وجبال النوبة في مرحلة ما بعد السلام وقيام دولة جنوب السودان .

ويمكن القول ، بأن أشد المناطق مظلومية في السودان هي منطقة جنوب النيل الأزرق ، إذ لم تبرز فيها حتى اليوم نخبة متعلمة ومثقفة ومسيسة كما هو وسط دينكا نجوك" فرانسيس دينق ودينق الور ولوكا بيونق والعشرات من أمثالهم ، كما برزت في جبال النوبة نخب مثقفة منذ أيام ثورة 1924م مرورا بمحمود حسيب وغبوش وانتهاء إلى الآلاف من مثقفي النوبة على

---

1 كنت حاضرا في مداولات المحكمة ضمن وفد حكومة السودان

عكس منطقة جنوب النيل الأزرق ، حيث حتى زعيمهم مالك عقار لايملك شهادات جامعية ، كما أن قبائل جنوب النيل الأزرق غير معروفة ، كالجمجوم والأدك والوطاويط والأنقسنا ،ورغم أهمية الكرمك والأنقسنا إلا أنها بدون طرق واصلة وبدون خدمات تعليمية كافية ولا صحية ولايكاد يوجد بها حركة تنمية ولعلها أولي المناطق بالأهتمام، لأهميتها الإستراتيجية وللمفارقة الواضحة مقارنة بما يجري في إقليم بني شنقول الموازي من تنمية سياسية واجتماعية واقتصادية ، كما زلازل الكرمك هي التي أدت إلى تغييرات سياسية في السودان ، فاحتلال الكرمك بمساعدة اثيوبيا من قبل الحركة الشعبية SPLM في 11 نوفمبر 1987 أدى إلى لجوء إلسودان للعراق وزيارة محمد عثمان الميرغني واستعادتها الحكومة بعد 6 أسابيع بالسلاح العراقي، وهذا أدى إلى تدفق السلاح على الحركة الشعبية لموازنة السلاح العراقي ونشاط التمرد في جنوب كردفان ، مماقاد حكومة السيد/ الصادق المهدي إلى تسليح المراحيل في الصراع ، وهذا أدي في النهاية إلى مذكرة الضباط التي وقع عليها 150 ضابطا في 2 فبراير 1989 مما أدى إلى سياق الإنقلاب العسكري الذي انتهي بمجيء حكومة الإنقاذ في 30 يونيو 1989م

مايزال أمام الحكومة السودانية ،عمل سياسي كبير ، يتعلق بالمناطق الثلاث ، ومن الخطأ الفادح المراهنة على الخطة السياسية الحاضرة أو القادمة المتعلقة برفع العقوبات ، حيث لاتزال معسكرات اللاجئين والنازحين في إثيوبيا تحتضن مقاتلي قطاع الشمال وكذلك وجود مماثل في جنوب السودان وإريتريا وتوجد شبه دولة في كاودا بجيشها وتواصلاتها الداخلية والخارجية وقضية أبياي تنتظر هدوء الأحوال والمصالحات في جنوب السودان – لذا تظل المناطق الثلاث من اولويات العقل السياسي السوداني والأمن والمستقبل وإنم لم يك هناك حراك سياسي ذكي ووضع خطط سياسية واجتماعية وأمنية فسيعود السودان لمربع الحرب ، وربما حينها لا تنفع إتفاقية السلام ويصبح أمر السودان رهن الوصاية والتدويل ، دعك من دخول حركات دارفور في هذا المعترك – والله أعلم .

المصادر والمراجع :

1. نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان ، بيروت ، ط 2 ، 1972م.
2. محمد الأمين سعيد، سياسة محمد على في السودان د.ن، 2016م
3. يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية 1450 – 1821، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، 1996م .

4. سراج الدين عبدالغفار ، الصراع في جبال النوبة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية 1996م
5. حسن مكي محمد أحمد ، المشروع التنصيري في السودان 1843هـ - 1986م ، المركز الإسلامي الإفريقي، إصدارة رقم (11) 1411هـ - 1991م .
6. Alex De Wall , The Real Politics of the Horn of Africa . Polity 2017
7. John Young, The Fate of Sudan, zed Books , 2013
8. Somuel Tollen and Amanda F,Grzgb. Conflict Nuba Mountiain Routledge 2015
9. Hilde F,Johnson,waging peace in Sudan, Sussex,2011